

تفسير ابن كثير

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ^جإِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ^ج
وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ^طوَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ

وقوله : (من كان يريد العزة فالله العزة جميعا) أي : من كان يحب أن يكون عزيزا في

الدنيا والآخرة ، فليلزم طاعة الله ، فإنه يحصل له مقصوده ; لأن الله مالك الدنيا والآخرة

، وله العزة جميعها ، كما قال تعالى : (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين

أيتنغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا) [النساء : 139] . وقال تعالى : (ولا يحزنك

قولهم إن العزة لله جميعا) [يونس : 65] ، وقال : (والله العزة ورسوله وللمؤمنين

ولكن المنافقين لا يعلمون) [المنافقون : 8] . قال مجاهد : (من كان يريد العزة)

بعبادة الأوثان ، (فإن العزة لله جميعا) . وقال قتادة : (من كان يريد العزة فالله العزة

جميعا) أي : فليتعزز بطاعة الله عز وجل . وقيل : من كان يريد علم العزة ، لمن هي ، (

فإن العزة لله جميعا) ، حكاه ابن جرير . وقوله : (إليه يصعد الكلم الطيب) يعني : الذكر

والتلاوة والدعاء . قاله غير واحد من السلف . وقال ابن جرير : حدثني محمد بن إسماعيل

الأحمسي ، أخبرني جعفر بن عون ، عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي ، عن عبد الله بن المخارق ، عن أبيه المخارق بن سليم قال : قال لنا عبد الله - هو ابن مسعود - إذا حدثناكم حديثا أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله : إن العبد المسلم إذا قال : " سبحان الله وبحمده ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، تبارك الله " ، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ، ثم صعد بهن إلى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن ، حتى يجيء بهن وجه الرحمن عز وجل ، ثم قرأ عبد الله : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) . وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن عليه ، أخبرنا سعيد الجريري ، عن عبد الله بن شقيق قال : قال كعب الأحبار : إن ل " سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر " لدويا حول العرش كدوي النحل ، يذكرون بصاحبهن ، والعمل الصالح في الخزائن . وهذا إسناد صحيح إلى كعب الأحبار ، رحمه الله ، وقد روي مرفوعا . قال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ، حدثنا موسى - يعني ابن مسلم الطحان - عن عون بن عبد الله ، عن أبيه - أو : عن أخيه - عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الذين يذكرون من جلال الله ، من

تسبيحه وتكبيره وتحميده وتهليله ، يتعاطفن حول العرش ، لهن دوي كدوي النحل ،
يذكرون بصاحبهن ألا يحب أحدكم ألا يزال له عند الله شيء يذكر به ؟ " .وهكذا رواه
ابن ماجه عن أبي بشر بكر بن خلف ، عن يحيى بن سعيد القطان ، عن موسى بن أبي [
عيسى] الطحان ، عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن أبيه - أو : عن أخيه -
عن النعمان بن بشير ، به .وقوله : (والعمل الصالح يرفعه) : قال علي بن أبي طلحة ، عن
ابن عباس : الكلم الطيب : ذكر الله ، يصعد به إلى الله ، عز وجل ، والعمل الصالح :
أداء فرائضه . ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه ، رد كلامه على عمله ، فكان أولى به
.وكذا قال مجاهد : العمل الصالح يرفع الكلام الطيب . وكذا قال أبو العالية ، وعكرمة ،
وإبراهيم النخعي ، والضحاك ، والسدي ، والريعي بن أنس ، وشهر بن حوشب ، وغير
واحد [من السلف] .وقال إياس بن معاوية القاضي : لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام
.وقال الحسن ، وقتادة : لا يقبل قول إلا بعمل .وقوله : (والذين يمكرون السيئات) : قال
مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وشهر بن حوشب : هم المرءون بأعمالهم ، يعني : يمكرون
بالناس ، يوهمون أنهم في طاعة الله ، وهم بغضاء إلى الله عز وجل ، يراءون بأعمالهم ،

(ولا يذكرون الله إلا قليلا) [النساء : 142] .وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هم
المشركون .والصحيح أنها عامة ، والمشركون داخلون بطريق الأولى ، ولهذا قال : (لهم
عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) ، أي : يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي
البصائر والنهي ، فإنه ما أسر عبد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفتات لسانه ،
وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله رداءها ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر . فالمرائي لا
يروج أمره ويستمر إلا على غبي ، أما المؤمنون المتفردون فلا يروج ذلك عليهم ، بل
يكشف لهم عن قريب ، وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية .